الفصل التاسع عشر
"محاولة اغتيال"

في صباح اليوم التالي، استيقظ هشام، واستعد للخروج إلى عمله مارًا بمنيرة:

- أنا نازل يا حبيبتى عايزة حاجة؟

- عايزة سلامتك يا ابني، خلي بالك على نفسك.

قالتها بنبرة قلقة فعاد لها هشام بملامح مستفهمة:

- مالك يا منيرة؟ حاسس فيه حاجة.. انتِ تعبانة؟

- لا يا حبيبي، أنا بخير بس اا...

- بس إيه يا حبيبتي؟ قولي!

- مش عارفة.. قلبي مقبوض، مش مطمنة وقلقانة عليك.

أمسك بيدها وقبَّلها قائلًا بحنان يطمئنها:

- ماتقلقيش يا حبيبتي، واستعيذي بالله من وساوس الشيطان وكل حاجة هتبقى تمام إن شاء الله.

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ربنا يحميك يا حبيبي ويحفظك.

أمَّن هشام على دعائها وودّعها مغادرًا، لا ينكر ما اجتاح قلبه من قلق، فلم يقلق قلبُ أمٍّ هباءً بلا داع.

خرج من المصعد يعدّل من هندامه حتى بات عند مدخل العمارة التي تركها البواب بلا حراسة، فراح هشام يبحث عنه، وما كاد يستدير عائدًا بعدما أخفق في إيجاده بالداخل حتى تلقَّى عيارًا ناريًا دوّى صداه في المنطقة بأكملها.. سقط هشام محاولًا الصمود للحظات حتى ظهر البواب، وما إن رآه على تلك الحالة هرع وفزع صائحًا:

- هشام باشا هشام باشا.. يا خبر أسود أعمل إيه؟ آه.. البوليس.. لا الإسعاف.

أنقذه من حيرته حارس العمارة المجاورة، والذي كان يبحث عن مصدر الطلق الناري:

- يا نهار مش فايت مين ده؟ ده ساكن في العمارة؟

- أيوَه ده ظابط، ساعدني نرفعه وناخده على المستشفى.

- نرفع مين ونودّيه فين؟ انت عايز تودّينا في داهية؟ دي جريمة قتل، لازم نتّصل بالإسعاف وماتحركوش من مكانه.

لم يفتأ ينتهي من حديثه حتى ظهرت منيرة بملابس البيت، تبدو في حالة من الهلع جعلتها تتعثّر في خطاها، حتى ما أبصرت هشام مسجيًا على الأرض غارقًا في دمائه؛ فأطلقت صرخاتها ودموعها:

- هشام! ابنى.. اتصرفوا بسرعة، اطلبوا الإسعاف.

- اطمّني يا حاجة طلبناها، وفي أقل من خمس دقايق هيكونوا هنا ماتقلقيش.

أخذت منيرة تبكي وتنوح تحتضن ابنها حتى أغرقتها دمائه، تهتف بقلب أُمٍّ ذبحه خوف الفقد:

- قوم يا ابني ماتوجعش قلبي عليك.. قولتلَك ماتنزلش قلبي مش مطمّن.. انتَ حتّة من قلبي وبحس بيك، امتى هتفهم ده؟ هتفضل تغلّبني كده على طول؟ طب طب قوم واعمل فيّا اللي انت عايزه.

شعرت بماء ساخن يتلمّس كفيها؛ فكانت دموعه المنسابة بألم، التي ما إن رأتها منيرة مسحت دموعها آملة في نجاته؛ فها هو يسمعها، جعلَت تحتضنه برفق حتى لا تزيد من ألمه، تسلّل إلى أذنيها صوت سرينة الإسعاف وقد أفسح لها الجمع -الذي التَفّ حول العمارة- الطريق لتستقر أمامها، ونزل منها المسعفون ونقلوه إلى داخل السيارة ورافقَتْه منيرة، حاول الطبيب إسعافه حتى وصلوا إلى المشفى وأدخلوه غرفة العمليات على الفور.

*****

في منزل جنة:

كانت جنة منكبّة على كتبها استعدادًا لخوض امتحانها الإلكتروني، ارتفعت بظهرها عن مكتبها وفردَت ذراعيها تطقطق ظهرها من آلامه، أمسكت بهاتفها تتفقده، ثم همهمت: أووف، معقول؟ هشام لحد دلوقتى ماردّش على المسدج بتاعتي... امم يمكن انشغَل ولا حاجة، لا بس أنا بعتاهاله قبل معاد شغله.. طب خلاص رنّي عليه وشوفيه فين.. تمام جدًا.

قامت بالاتصال به تنتظر بلا رد؛ فأثار ذلك حنقها، حاولت مرة أخرى لكن دون طائل من ذلك؛ فعزمت على الاتصال به في وقت لاحق محتسبَةً أنه ربما يكون لديه عمل هام وانشغل به، لكنها مع ذلك لم تستطع منع ذلك الهاجس الذي اجتاح قلبها ينبؤُها بأمر ما لم تعرفه ربما يكون خطيرًا، استذكرت ما حدث في اليوم السابق؛ فنهضت عن مقعدها بقلق لهَثَت له أنفاسها "يا ربي! ممكن يكون حد أذاه؟ معقول يكون في خطر؟ أو.. أو حصل له حاجة؟! لا لا لا.. اهدِي يا جنّة، إن شاء الله مفيش حاجة.. إن شاء الله".

حاولت تهدئة نفسها ومضَت تتصل به تهتف بعصبية "رد بقى يا هشام".

في تلك الأثناء دخلت والدتها فأغلقت جنة الخط، لاحظَت والدتها تغيّر وجهها فتساءلت:

- حبيبتي انتِ كويسة؟

- آه.. آه يا ماما الحمد لله.. الحمد لله.

ردت الوالدة بعدم اقتناع:

- طيب يا حبيبتي كنت جايبالك الفطار، انتِ ماكلتيش حاجة من ساعة ما صحيتي.

- شكرًا يا ماما تسلم إيدك.

وضعت منال صينية الإفطار، وخرجت من الغرفة، ومن ثم عاودت جنة الاتصال بهشام.

*****

في المشفى، وصلت حنين تركض فزعة مع زوجها، تتلاشَى أمامها الرؤية بفعل دموعها، حتى أبصرت والدتها وشخص آخر لم تدرك كنهه.

- ماما ماما! مالُه هشام؟ حالته إيه؟ هو كويس، صح؟

منيرة وما زالت تبكي:

- مش عارفة حاجة، لسّه في أوضة العمليات.

- أنا النقيب جمال، بشتغل مع هشام بيه في الجهاز.

قالها مصافحًا عماد، والذي بدوره ردّد بدهشة:

- جمال؟!

- آه، هو حضرتك تعرفني؟

- لا لا أبدًا، أقصد ليّا الشرف.. طب هو إيه اللي حصل؟ ازّاي اتصاب ومين اللي عمل كده؟

- للأسف، مش عارف أي حاجة.. أنا اتّصلْت بيه بالصدفة ومدام منيرة اللي ردّت عليّا وقالتلي اللي حصل.

حينذاك خرج الطبيب من غرفة العمليات؛ فهرع الجميع نحوه متسائلين؛ فأومأ بيده كي يهدأوا، ثم قال:

- مفيش داعي للخوف، صحيح الرصاصة لو كانت اتحركت سنتي واحد كانت هتبقَى في مكان خطر جدًا، بس الحمد لله أصابت الكتف وبعمق مش كبير، وقدرنا نسيطر على الوضع.

تساءلَت حنين بخوف:

- طب هو حالته خطر يا دكتور؟

- لا لا أبدًا اتطّمنوا هو يقدر يخرج بكرة، بس طبعا مع الراحة التامة، هو دلوقتى هينقلوه غرفة الاستفاقة ماتقلقوش، بعد إذنكوا.

شكره جمال وعماد، ثم ضمّ الأخير زوجته بحنان هامسًا:

- ماتخافيش يا قلبي، إن شاء الله هيبقى كويس.

تنهدت حنين بارتياح ومسحت دمعها، ثم توجهت إلى منيرة لتجدها ساجدة حمدًا لله وما زالت تبكي؛ فحاولت تهدئتها قائلة:

- اهدي بقى يا حبيبتي، هو الحمد لله بخير.

- مش ههدا ولا هرتاح غير لما أشوفه قُدّامي فايق وبيتكلم معايا.

ضمتها حنين بجزع، وراح عماد يجاكرها بسُبْلِه المعتادة حتى يخرجها من حالتها تلك.

انتقل هشام إلى غرفته وقد استعاد وعيه بالكامل، حتى جثَت منيرة بجانبه ولم تعد تستطيع كَبْتَ دموعها من الانهيار؛ فطالعها هشام بوهن وأمسك يدها قائلًا:

- خلاص بقى يا حبيبتي أنا كويس والله.

- الحمد لله يا حبيبي.. الحمد لله قدّر ولطف.

دخلت حنين راكضة، واحتضنت أخاها بعنف؛ فصرخ ألمًا هاتفًا بتبرم:

- يا بت انتِ عايزة تموّتيني!

- بعد الشر عليك يا إتش، وبعدين ماكانِتْش حتة رصاصة في كتفك، قوم بلاش دلع.

نظر لمنيرة وأشار بإصبعه على حنين قائلًا:

- شايفة بنتك اللي ما اتربّتش.

همست منيرة في سرها:

- ما هي تربيتك.

- إيه؟

- لا يا حبيبي بقول عندك حق.

- أيوَه، عشان لما أرْزَعها كفّ ماتبقيش تزعلي.

ضحكت منيرة وحنين، ثم تدخّل عماد قائلًا بدعابة:

- لا ما أسمحْلَكش تقول كده على مراتي، وبعدين ترزع مين كف؟ هي مالهاش راجل يدافع عنها ولا إيه؟!

رد هشام متوعدًا:

- آه.. طيب أما أطلعلكوا من هنا بس.

طرق باب الغرفة؛ ففتح عماد ليدخل جمال مردفًا:

- حمدًا لله على السلامة يا هشام بيه.

- الله يسلمك يا جمال.. تعَبْتَك معايا.

- تعبك راحة يا فندم، المهم إن حضرتك تقوم بالسلامة.

حينذاك طلب هشام من الجميع أن يتركوه بمفرده مع جمال ليتحدثوا في أمور حساسة تخص العمل، وقد كان، إلا أن حنين فضولها كان يقتلها، تشعر أنهما سيتحدثان عمّن قام بتلك الفعلة وضرب أخاها؛ فأخذت تُلقِي بأذنها على باب الغرفة، إلا أنها لم تسمع شيئًا؛ فأخذ عماد يضحك ضاربًا كفًا بكف، حالما قالت منيرة:

- يا بنتي ارحمي نفسك، وِدْنِك طولِت بقت شبرين.
- يووه بقى يا ماما حاضر، أنا أصلًا مش سامعة حاجة.

*****

- شُفت يا جمال.. الندل عمل إيه؟
- حضرتك متأكد يا فندم إن سامر هو اللي ضربك بالنار؟
- هيكون مين غيره!
- عندك حق يا فندم، أنا مستغرب من جبروته.
- المهم دلوقتي.. عايزك تراقبه زي ضلّه، وتراقبه بنفسك، واوعَى يحسّ بأي حاجة يا جمال، لازم نخلَص من الموضوع ده في أقرب وقت.
- اعتبره حصل يا فندم.. بعد إذنك.
- اتفضل!

ما إن خرج جمال من الغرفة حتى التقى بسامر؛ فامتقع وجه الأول إلى العداء، لكنه حاول عدم إظهار ذلك، ريثما بدأ سامر الحديث:

- جمال، هشام بيه حالته إيه دلوقتي؟

رد جمال على مضض:

- بخير.. بخير جدًا الحمد لله، ما قولتليش انتَ كنت فين كل ده من ساعة بلّغتَك باللي حصل؟

تردد سامر قائلًا بتلعثم:

- أنا.. أنا كان عندي شغل ضروري، خلصته وجيت على طول، بعد إذنك بقى هروح أتطّمن عليه.

حدق به جمال بحاجب مرتفع، وقال:

- إذنك معاك، اتفضل!

عاد الجميع مرة أخرى إلى غرفة هشام بعدما تركوه يأخذ قسطًا من الراحة، كانت منيرة تتكبّد العناء في جعله يتجرّع العصائر لتعويض ما فقده من دماء؛ فصاح مستغيثًا:

- يا منيرة هو الجلوكوز المتعلّق ده مش مالي عينك، حرام عليكي أنا نفسي جَزَعِت من العصير.

- اشرب وانت ساكت، وإلاا..

لم تعدل منيرة عن معاملته كونه طفلًا كما كانت تفعل منذ صغره؛ فتسقيه الحليب غصبًا، حتى أنه في كثير من الأحيان كان يتقيأ، لكن اهتمامها بأمر تغذيته لا يجعلها ترى مثل تلك الصغائر.

حينذاك دلفَت لارا ووالدتها بلهفة مصطنعة، ومضَت الأولى نحو هشام بقلق متكلف قائلة:

- هشام بيبي.. انتَ كويس؟ أول ما عرِفْت كنت هموت من القلق عليك وجينا على طول، طمنّي عامل إيه؟ والرصاصة جات فين؟ آه شكلها في دراعك طب...

أغمض هشام عينيه مستجيرًا من حديثها الذي لا يتوقف، حتى أوقفه بنفسه:

- أنا كويس يا لارا.. ماكانْش فيه داعي تقلقي وتتعبي مامتك.

- مفيش داعي ازّاي بس يا بيبي؟ هو أنا عندي أغلى منك، ولا إيه يا ماما!

- طبعًا، وبعدين يا حبيبي ده انتَ منّنا، وهتاخد بنتنا، يعني غالي عندنا، ربنا يشفيك يا رب.

في خلال تلك الأحاديث التي لم ترِق لحنين لاحظت إضاءة شاشة هاتف هشام؛ فأمسكته لتجد المتصل جنة، أخذت الهاتف خفية وخرجت به لترد عليها؛ فتسمعها تقول:

- انتَ فين يا هشام؟ حرام عليك كنت هموت من القلق، فكّرت بعد الشر حصلك حاجة.

- لا أنا مش هشام، أنا حنين أخته.

أطبقت جنة عينيها بحرج تعضّ على شفتها السفلى، ثم قالت:

- احم، آسفة.. هو هشام نسِي تليفونه؟

- لا، هشام في المستشفى...

- إيه في المستشفى ليه؟ حصل له إيه؟ طب هو كويس، صح؟ انتِ مابتردّيش ليه؟

حنين في نفسها "هي مالها قلبِت على لارا كده ليه؟! بس على قلبي زي العسل، أحسن من الحرباية التانية دي."

- طب ادّيني فرصة أفهّمك..هو الحمد لله بقى كويس، حد ضربه بالرصاص وجات الطلقة في دراعه.

- طب..طب هو في مستشفى إيه؟

أعطتها حنين اسم المشفى وأغلقت الخط، ومن ثم راحت جنة تفكر باضطراب كيف يمكنها الذهاب إلى المشفى؟ وماذا ستقول لوالديها؟ وكيف وماذا؟! الكثير من علامات الاستفهام تجول برأسها، حتى وجدت شخصًا واحدًا يمكنه إنقاذها من ذلك الموقف.. "أحمد".

*****

وصل أحمد وجنّة إلى المشفى، وما كاد يركن الأول سيارته حتى نزلت منها جنة وسبقته إلى الداخل، تسأل في الاستقبال عن غرفته، ومن ثم ابتلعَت قدماها الدرج حتى وصلت إلى غرفته.

دخلت جنة غرفة هشام بخوف ينهشُ في قلبها، ومن خلفها أحمد الذي يلهثُ راكضًا الدرج، زفر حنقًا من تسرعها؛ فهي حتّى لم تطرق باب الغرفة قبل أن تصبح بداخلها، تسمّرَت عيناها المغرورقتان على هشام الممدّد على فراشه يتحدث مع عماد، وبجانبه حنين التى ما إن رأتها حتى اتجهت نحوها مرحبة، لكنها ركضَت نحوه باكية وأمسكت بيده هاتفة بكلمات مبعثرة على شفاه مرتجفة من بين شهقات نحيبها:

- هشام انتَ كويس؟ إيه اللي حصل؟ ومين عمل فيك كده؟ اللي كان بيراقبنا امبارح، صح؟

أومأ بعينيه مطَمْئِنًا، وربت على كفيها المحتضنتين كفه قائلًا:

- اهدي يا جنة اهدي.. أنا كويس والله ماتخافيش.

مد يده ليمسح دمعها المترقرق على خديها، حينذاك دلف أحمد وحمحَمَ؛ فحثّه هشام على الدخول؛ فأردف الأول:

- حمدًا لله على السلامة يا هشام.. الحمد لله إنها جَات على قدّ كده.

- الله يسلمك يا أحمد.. أعرفكوا حنين أختي، وده عماد جوزها.

صافح أحمد عماد، بينما اتجهت جنة إلى حنين قائلة بحرج:

- انتِ اللي رديتي عليّا وعرفتيني اللي حصل.. أنا آسفة إني دخلت كده من غير ما أسلّم عليكي، بس..

حينئذ لم يعد هشام بحاجة سؤالها عمّن أخبرها بالحادث؛ فأخته كفيلة بذلك.

ربتت حنين على كفيها، وقاطعتها قائلة:

- ولا يهمك يا حبيبتي، أنا فاهمة ومبسوطة إني اتعرّفت عليكي.

- الله وإيه كمان؟!

جاءهم ذلك الصوت الساخر ليتفاجأوا بـ"لارا" لدى الباب مع والدتها ومنيرة.

أجفل هشام وأطبق جفنيه متنبئًا بكارثة محقق حدوثها؛ فقال بعصبية:

- لارا!

أومأت تلوِي شدقيها ملبية النداء بانتقام:

- قلب لارا.. اؤمرني يا حبيبي.

سقط قلب جنة من مكانه يحاول عقلها فهم ما يحدث، مَن هذه وكيف تحادثه بتلك الحميمية؟ تذكر أنه أخبرها أن لديه أختًا واحدة، فمن تلك إذن؟ أخرجتها من تساؤلاتها بلهجتها الساخرة المضجرة:

- وانتِ بقى داخلة يا هشام يا هشام، ممكن أعرف انتِ مين؟

تلعثمَت جنة ولم تعد تعرف كيف وبمَ ترد؟! هل تخبرها من هي أم عليها رد السؤال؛ فهي في أمَسّ الحاجة لتكذيب ما يجول بخلدها، وكأن لارا قد سمعت ما تفكر به فقالت:

- آه شكله القطّ أكل لسانك ومش عارفة تقولي انتِ مين، أعرفّك أنا بنفسي.

هشام بعصبية:

- خلاص يا لارا.

- لا مش خلاص.. أنا لارا خطيبة سيادة الرائد.

جنة بصدمة:

- خطيبته!

أشاحت لارا بيدها اليمنى قائلة:

– آه مخطوبين من كذا شهر، والدبلة أهي عليها اسمه، مش بتعرفي تقرِي برضه.

–لارا، اخرسي بقى!

قال هشام صائحًا بينما كانت جنة متسمرة في مكانها كتمثال أصم ليس به حياة، فلم تعد تسمع سوى صوت دقات قلبها التي كانت على وشك التوقف، هل ما سمعته صحيحًا أم أنها تتوهم؟ إذًا لماذا لا ينكر حديثها؟ لماذا لايقول شيئًا.. هذا يعنى أنها على حق؟! انسكبَت دموع عينيها على وجهها، فلم تكتفِ لارا من ذلك، واستأنفت:

- وخطوبتنا بعد أسبوع، تشرّفينا والله.

تملّك الغضب من أحمد فلم يعد يحتمل أكثر من ذلك؛ فأمسك بيد جنة وجذبها ليخرجا، وقبل أن يفعل الْتفَتَ إلى هشام قائلًا بسخط:

- من النهاردة مش عايزين نشوف وشك تاني ومش عايزينك تحميها، بنتنا نعرف ازّاي نحميها كويس.

وأخذها وخرج من الغرفة حتى أركبها السيارة، وهي تتحرك لا إراديًا بقوة جذبِه حتى انتابتها حالة هياج وصياح؛ فأخذت تصرخ وتضرب تابلو السيارة بيدها حتى كسرَت قطعة ديكورية من الزجاج لتسيل دماء يدها:

- ليه؟ ليه؟ ليه عمل كدَه؟ ليه كذِب عليّا ليـــــــــه؟ خاطب واحدة تانية! يعني كل حاجة كانت كذب، ليه عمَل معايا كده؟ ليه يا أحمد ليه؟

لا يعرف أحمد بمَ يرد؛ فبالكاد كظم غيظه عنهم بالأعلى، حاول تهدئتها وأخذها إلى داخل المشفَى ثانية وطُهِّر جرحها، ثم أخذها وانطلقا مغادرَين حتى توقف أمام منزله، ولم تنبس جنة ببنت شفة، ولم تلحَظ حتى أين ومتى توقفت السيارة حتى طلب منها أحمد أن تنزل؛ فتعجبت متسائلة:

- انتَ ليه جايبني هنا؟

- مش هينفع تروّحي بمنظرك كده، مامتك وباباكي هيتخضّوا ويسألوا هنقول لهم إيه؟ يلّا انتِ اطلعي وأنا هروح البيت أجيبلك هدوم، وأقول لخالتى إن سارة تعبانة من الحمل وكده ومحتاجاكي معاها.

أومأت بضعف وانكسار، نزلَت وأخذ أحمد سيارته وانطلق صوب بيتها.